سرّ التذكير والتانيث

ما دامت بضاعة النفاق رائجة كان المتاجرون بها كثارًا وليس مثل العلم في اكساد بضاعة النفاق وليس مثل العلماء في كشف اسرار المنافقين. والشواهد على ذلك لا تحصر وقد اوردنا عددًا عديدًا منها ولم نورد الاَّ نقطةً من بحر. غير اننا لم نستهلّ هذه المقالة بما نقدّم رغبة في كشف نفاق المنافقين وانما ذكّرنا عنوانها بدعوى بعض المشعوذين وهي انهم يعرفون جنس المولود قبل ولادته فيحكمون بكونهِ ذكرًا او انثى بدلائل يحكم العقل بفسادها بداهةً. وهذه دعوى فارغة وان كانت في ذاتها ممكنة لان ما يدّعون معرفته لم يتصل احدٌ الى معرفتهِ حتى الآن وليس بحثنا هنا من قبيل بحثهم وانما هو مبنيٌّ على حقائق مقرّرة فاذا كان فيهِ خطأٌ فالخطأُ في الآراء المبنية على تلك الحقائق وهو يزول بزيادة البحث وتمحيص الآراء

ان غرض هذه المقالة تلخيص كتابٍ حديث صنفهُ بعض العلماء الجرمانيين وتحرّى فيهِ البحث عن مسألتين احداهما ما هو السبب في بقاء عدد الذكور مساويًا لعدد الاناث على تمادي الايام واختلاف الاحوال والثانية لماذا تصير البيضة الواحدة في الرحم ذكرًا والاخرى انثى. ونحن نبسط هنا قولهُ في هاتين المسألتين وجوابهُ عليهما بوجه الاختصار فنقول

ثبت بالاحصاء والاستقراء ان عدد الذكور في المواليد يبقى مساويًا لعدد الاناث او قريبًا منهُ ولو اختلفت عليهم الاحوال وتوالت الاجيال ومهما زاد الفرق بينهما فانهُ يبقى زهيدًا لا يعبأ بهِ. والغريب ان ذلك لا يقتصر على مواليد البشر بل يعمّ مواليد الحيوانات كلها ومواليد النباتات ايضًا — اذا صحّ ان نسميها مواليد. فبقاء عدد الذكور مساويًا لعدد الاناث مع اختلاف الطوارئ وتعاقب الايام لا بدَّ ان يكون حادثًا عن قوة مدبّرة لهذا الامر الجلل معدّلة للعدد حفظًا لنظام المخلوقات الحية اذ لو زاد جنسٌ على آخر زيادة دائمة لافضى ذلك الى خلل لا يخفى سوء عواقبهِ على عاقلٍ يتأمّل.

اما القوة المعدّلة المذكورة فاستدلّ المصنّف على سنّها بما يأتي وهو ان ابكار الذين يتزوجون كبارًا في السن او صغارًا جدًّا يزيد فيهم عدد الذكور على عدد الاناث وكذلك يزيد الذكور على الاناث في مواليد البشر بعد الحروب العظيمة مما يدلُّ على ان زيادة

الذكور او الاناث تابعة لتغلُّب القوة التناسلية في احد الزوجين عليها في الآخر. فالسنّة ان جنس المولود تابع لزيادة القوة التناسلية في الوالد وبعبارة أُخرى ان الوالد كلما زادت قوتهُ التناسلية غلب ان يكون نسلهُ من جنسهِ. وعليهِ فقد ثبت بالاستقراء ان الاناث في وِلد الحصان تزيد على الذكور بقدر ما يقلُّ نزوهُ على الفرس

وفي مذهب المصنف ان للتغذية تأثيرًا عظيمًا في ولادة البنين والبنات فالذين يغتذون جيدًا ولا يكرههم الضنك على سوء المعيشة يكثرون من البنات. والفقراء الذين يقلُّ عليهم الطعام ويحترمون رغد المعيشة يكثرون من البنين. ويدلُّ على ذلك احصاء الموالد في أُطِنّستين مثلاً حيث كانت نسبة البنين الى البنات بين الموسرين كنسبة ١٠٤ الى ١٠٥ ونسبتهم بين الفقراء كنسبة ١١٥ الى ١٠٠ وربما انطبق ذلك على السنّة العامّة التي ذكرناها قبلاً وهي ان جنس المولود تابع لزيادة القوة التناسلية في الوالد. وبيانهُ ان الفقراء تقاسي نساؤهم ضنك العيش اكثر من رجالهم كما قال بعضهم. لانهُ لما كان جلُّ اعتماد عيال الفقراء على رجالها لكونها تعيش بتعبهم كان ما كلهم اكثر من ما كل نسائهم وأُفرِز لهم افضل الطعام غالبًا. فيعيضون بهذا الطعام عما يفقدونهُ من قوة اجسادهم بالعمل اكثر مما يعيض نساؤهم عما يفقد من قوتهنّ والقوة التناسلية مناسبة لقوة الابدان فتزيد بزيادتها وتقل بقلتها. ولذلك تكون القوة التناسلية في رجال الفقراء اعظم مما في نسائهم فيغلب جانب الذكور في اولادهم. بخلاف الاغنياء كما يتضح جليًّا لمن يمعن

هذا من قبيل القوة المعدّلة بين عدد الذكور والاناث واما سبب التذكير والتأنيث وصيرورة البيضة الواحدة ذكرًا والأُخرى انثى فبعضهُ في زعم المصنف من زيادة البلوغ في البيضة الواحدة وقلتهِ في الأُخرى وبعضهُ من اختلاف تركيب البيضة نفسها في زمان عن تركيبها في زمان آخر او من اختلاف تركيب اللقاح الذي تلقَّح بهِ باختلاف الزمان. والله اعلم

وقد اشار الموسيو بريَر الفيسيولوجي لتحقيق ما تقدَّم ان يوضع حيوان ذكر مع مئتي انثى مثلاً فاذا زاد الذكور في الوِلد صدق الرأي والاَّ فلا لان القوة المعدّلة تقتضي زيادة عدد الذكور ليتعادل عددها بعدد الاناث. وخلاصة ما يقال في هذا الشأن ان سرَّ التذكير والتأنيث ربما يكشف بما تقدم وربما لا يكشف ومهما يكن من رأي المصنف فقد بطلت الآمال بانجلاء الحقيقة والانتفاع بفوائدها لانهُ طرق سبيلاً للبحث عنها والوصول اليها والاختبار يدلنا ان العلماء لم يتحرَّوا البحث عن حقيقة الاَّ وصلوا اليها او نفعوا العالم بفوائد كثيرة اثناء بحثهم عنها ولو لم يصلوا اليها